أسئلة لابد منها ...

1-هل يمكن أن نطلق على مسلسل اجتماعي معاصر بأنه ديني ؟

وهل المسلسل الديني هو تاريخي بالضرورة ؟!

وما هو الفارق بين التاريخي والديني والاجتماعي وهي علاقات وعناصر قد نجدها في مسلسل واحد تدور أحداثه في الماضي . من خلال حدث أو شخصية دينية .. ثم نرى الشخصية تتحرك اجتماعيًا في بيتها وحياتها العادية مثل باقي البشر مع اختلاف الزمان والمكان .

ونرجع إلى أرسطو في كتابه (فن الشعر) (325ق . م) عندما نتحدث عن فن الدراما كجنس إبداعي يصاغ على الورق لكي تتحقق مرئيًا وسمعيًا في فضاء مسرحي معتمدًا على حدث يجري أمام المشاهد وتتطور وقائع الحدث وتنمو حركته بمواقف شخصياته المحددة المعالم والمتصارعة مع القوى المتربصة بها والمسيرة أو المعرقلة لحركتها وذلك عبر حوادث تعبر عما يجيش بأعماقها وما تريد توصيله بالآخرين وما تتشابك به معهم مانحًا بذلك الفن الجديد مفهومًا وبناء يختلف ويتجاوز به الشعر الغنائي الذي اعتمد على المونولوج الذاتي الخاص حتى ظهر شعر الملاحم الذي اجتمعت فيه الأسطورة مع التاريخ .. معتمدًا على لغة الحكي مثل الألياذة والأوديسا .

وما ذكره أرسطو عن الدراما والمسرح « ينطبق أيضًا على المسلسل التليفزيوني والفيلم السينمائي .. والمسلسل الإذاعي لأن القواعد واحدة وإن اختلفت الأساليب .

ولأن كاتب الدراما الدينية مرتبط بالمقدس فقد اعتمد غالبية من كتبوا المسلسلات الأولى عند ظهور التليفزيون عام 1960 .. اعتمدوا على الحوار وترجمة المشاهد والسير والقصص الدينية إلى لوحات واستبعدوا بالطبع صور الأنبياء والعشرة المبشرين بالجنة وآل البيت النبوي .. واستخدموا الراوي ..

يتكلم بلسان الشخصيات ويسبقها دائمًا بكلمة قال : أبو بكر .. قال : عمر .. ويجب الاعتراف بأن هذا الأسلوب البدائي .. اجتهاد من أصحابه .

أمينة الصاوي وعبد الحميد جوده السحار وعبد الفتاح مصطفى وكرم النجار .. وغيرهم .

فقبل أن تسمح بعض الدول مؤخرًا بظهور الأنبياء مثل إيران التي قدمت فيلمًا عن طفولة سيدنا محمد ﷺ .. ويوسف الصديق ثم عمر بن الخطاب في مسلسل سوري قطري وظهر فيه أبو بكر ، وبعض الصحابة ، واخذوا تصريحًا من بعض رجال الدين في هذه البلاد .. بينما ظل الأزهر الشريف على موقفه .

أما بخصوص الصراع الدرامي في المسلسل الديني فهو يقوم غالبًا بين المؤمنين والكفار .. مع أن الصراع قد يكون بين المسلم وشيطانه وبين دينه ودنياه وبينه وبين محيطه الاجتماعي .

وكانت المسلسلات الدينية في بدايتها تعتمد على السيرة النوبية الشريفة وكيف انتشر الإسلام في بدايته .. ثم تطورت إلى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ..

وظل الحوار متفوقًا على الصورة وهي أساس الدراما الدينية .

وفي المسلسل الديني الإذاعي الشهير أحسن القصص لجأ المؤلف الكبير محمد على ماهر إلى أسلوب الحكي غير المباشر باستخدام قال : النبي ﷺ .. وقال إبراهيم عليه السلام .. وفي الإذاعة الحوار هو الأساس .. لكن في التليفزيون الوضع مختلف .. وكانت المشكلة تظهر في المكياج والملابس .. واستخدام التصوير الداخلي أكثر من الخارجي .. مما يقلل من شأن الصورة وتجعلها أقرب إلى الثبات منها إلى الحركة وهي ضرورة درامية لا غنى عنها وإلا تحول المسلسل إلى مقال مصور .

والدراما المرئية كما يقول د . حسن عطية الناقد الكبير : تقوم على مبدأ صياغة

النقل الواقعي ماضيًا كان أم معاصرا في بناء جمالي يتأسس داخل السياق الاجتماعي القائم . ويستهدف التأثير في المجتمع الحي فيخاطب جمهورًا تعرفه ويكون حاضرًا في هذا التيار الجمالي بزمنه وقيمه شاء مبدعه أو تصور أن ينفلت منه لعوالم خيالية يبتدع معها أفعالا من الخيال سابحة في سماوات مثالية .

وعندما يقلب المبدع في صفحات التاريخ فإنه يفتش عن الأحداث والشخصيات المؤثرة سلبا وإيجابا ومما يلقي بطلال الماضي على الحاضر .. وإلا تحولت الشخصيات التاريخية إلى تماثيل في متحف ومن خلال هذا البحث في الماضي بروح الحاضر يمكن استكشاف المستقبل.

هذا عن التاريخي الديني فماذا عن الاجتماعي المعاصر الذي يتناول بعض المفاهيم والصيغ القرآنية الأخلاقية وينسج منها الحكاية .. كما فعلها محمد جلال عبد القوي في المسلسل الشهير «المال والبنون» وأنا أعتبر مثل هذا العمل دينيا .. وإن جاء في قالب معاصر اجتماعي .

وبعيدًا عن التناول الأولى للمسلسل الديني ..جاءت مرحلة تالية قدم فيها عبد السلام أمين هارون الرشيد وعمر بن عبد العزيز ، وقدم بهاء إبراهيم «إمام الدعاة» عن سيرة الشيخ محمد متولي الشعراوي في محاولة لتقديم مسلسل ديني معاصر .. ونجح نجاحًا كبيرًا ربما لأن الشعراوي كان حاضرًا عند أجيال عديدة من الجماهير رأته رؤية العين وبرامجه في تفسير وشرح القرآن الكريم مادة دائمة وموجودة في أغلب القنوات .

ورغم المشاكل التي أحاطت بالمسلسل أثناء تحضيره من ورثة الشيخ .. إلا أن المنتج الكبير مطيع زايد نجح في التغلب عليها وتقديم العمل في ظروف إنتاجية صعبة . ومع ذلك حقق المسلسل رسالته بنسبة عالية وما يزال يُعرض هنا وهناك .

ونفس المؤلف قدم عدة مسلسلات منها «أبو حنيفة » ونتوقف أمام المؤلف

محمد السيد عيد في مسلسل «الغزالي» حجة الإسلام وحيث يلعب بمهارة على أوتار قضايا عصرية .. واجهها الغزالي في أيامه مثل : تكفير المسلم لأخيه ، وتحريم الغناء تحريمًا مطلقًا ، معتمدًا على إبراز دور العلم والعقل وهما من أهم ركائز القرآن الكريم في مخاطبته .. لأولي الألباب .. الذين يتفكرون ويذكرون ويعقلون ويعلمون ويدرسون ويتأملون ويقرأون ..

وهنا ..نحن أمام عمل ديني .. لشخصية ليس لها وجود في القصص القرآني الشهير لكنها تواجدت في عصر ثار فيه الكثير من الجدل حول القضايا الدينية التي طرحها القرآن الكريم وتناولتها السيرة النبوية المشرفة .

لأني عندما طرحت مصطلح «دراما القرآن الكريم» لم أقصد فقط ما جاء في الكتاب المقدس من قصص وما فيها من مشاهد اكتمل فيها السيناريو والحوار وتنوعت النقلات بين المشاهد ..لكنني أيضًا قصدت الدراما الدينية على العموم .. وما جاء في السيرة النبوية المشرفة وقصص الصحابة الكرام ليس ببعيد عنها وقد نزلت الكثير من آيات المصحف الشريف فيهم وعنهم .

وبالمناسبة فإن الدراما الدينية لفتت أنظار صناع السينما العالمية في وقت مبكر فقد م سيسل دي ميل فليمه الشهير «الوصايا العشر » عن قصة سيدنا موسى .. وقدم ميل جيبسون (آلام المسيح) وقدم فرج الله سلحشور الإيراني فيلم محمد ﷺ واقتصر فيه على عرض طفولة النبي الكريم وشبابه حتى وقعت بعثته .

وأغلقت معظم الدول الإسلامية أبوابها في وجه هذا الفيلم اعتراضًا على تجسيد صورة النبي الكريم ﷺ حتى لو جرى هذا قبل بعثته ونزول الوحي .

من يكلم من ؟

عندما انتشرت في أوربا الصور المسيئة إلى النبي محمد ﷺ وعظيم قدرة ومكانته . سألنا أنفسنا وماذا يعرف الغالبية العظمة من أهل الغرب عن إسلامنا

وعن نبينا الكريم وقد صنعوا لنا صورة خاصة تم اختصارها في اللحية والجلباب والقنبلة والحزام الناسف ولم تخلو عملية إرهابية في أرجاء الأرض من إسلامي وتصر قنواتهم الفضائية على مسمى تنظيم الدولة الإسلامية المعروفة بداعش .. لكنهم يصرون في عناد على هذا الاسم ولكل يعرف أنهم صنعوا هؤلاء القتلة .. يلعنونهم في العلن ويدعمونهم في الخفاء .. وهي أمور اعترف بها الأمريكان .

وهنا عندما نبحث في دراما القرآن الكريم نحاول استثمار روعة الصور : وتأثيرها .. في مخاطبة الدنيا من حولنا باللغة التي يفهمها أهل الأرض جميعًا .. بصرف النظر عن اختلاف الألسنة واللهجات والوجوه والثقافات .

وكلنا يعرف أن إعجاز القرآن الكريم يتمثل في كنوزه التي يتم اكتشافها عبر العصور لأنه كتاب كل زمان وكل مكان إلى قيامة الساعة .

ومن الإعجاز تلك المشاهد الكاملة وقد نجدها في آية .. يستطيع السينارست أن يحولها إلى مشهد به مجموعة لقطات بالحوار أو بدونه والصورة دائما شارحة لنفسها .

هدفنا .. تقديم دراما تستثمر أدوات العصر من حيث إمكانات التصوير والمكياج والملابس والخدع... لكن بدون الوقوف أمام نصوص ترتقي إلى هذا التطور التقني .. لن تتحرك الدراما القرآنية .. وقد يستغرب البعض إصراري على هذا المسمى مع أن الدائرة الأوسع أن تقول دراما دينية .. وهذا صحيح لكن هل يمكن أن نرى كتابة دراما دينية ليس لها من أصل ونص في كتاب الله المقدس أنه لا يرصد أحوال الإسلام فقط وفيه قصص من سبق من الأنبياء والرسل والأمم وإشارات لأولي الأبصار والألباب للحاضر واستشراف المستقبل وهذه واحدة من معجزات القرآن الكريم ..

وقد تحدثت الكثير من الكتب عن القصة القرآنية وما فيها من ثروة من الحقائق

والمعارف والتطورات والإنجازات والتوجيهات وأيضًا ثروة من الموسيقى الخافتة والمجهرة كما يقول الدكتور محمد حسن الدالي في كتابه (القصص في القرآن الكريم) (كتاب الجمهورية) إلى جانب «براعة اللغة والأسلوب والبيان والإيجاز والكناية » .

لكني أتوقف أمام المشهد الذي يضم الحركة والكلمة معا فيما نعرفه فنيًا بالسيناريو الذي هو الوصف لكل ما يدور بعين الكاميرا والحوار الذي يدور بين الشخصيات بما في ذلك الصمت .

هذه اللغة البصرية كيف نستثمرها ونستفيد منها في مخاطبة الآخر من حولنا .

وأتوقف أمام ما جاء في كتاب «خالد زيادة» (المسلمون والحداثة الأوربية) الذي يتحدث عن دخول الشعر الحديث إلى دولة الخلافة الإسلامية ومعه الأنواع الغنائية والدرامية وقد تفاعلت مع مؤلفات دانتي وراسين وكورين وشكسبير على اعتبار أن تركيا هي أقرب دولة أسلامية إلى أوربا . لكن مصر العربية كانت بحكم مخزونها الحضاري أسرع تفاعلا ومعها دول الشام عندما ظهر مسرحها مبكرًا بعد أن نشطت حركة الترجمة .

والسؤال أين المسلسل الديني بإمكانات العصر ولغته وأساليبه التي سهلت عمليات الدوبلاج والترجمة على الشاشة ؟

في تصوري أنها قبل أن تكون أزمة إنتاج كما يدعي أصحاب الشركات الخاصة وحجتهم أن المسلسل الديني لا يربح هي أزمة مؤلف يستطيع أن يحافظ على ثوابت التاريخ الديني المقدس ولكنه يستطيع امتلاك مهارة الاحتراف في صياغة مبتكرة وخلاقة وجذابة وممتعة . لأن المسلسل الديني ليس رسالة وعظ مباشرة تعتمد على الكلام فقط . وقد رأينا بعض الدعاة المتميزين يتلاعب بمشاعر وعقول المتفرجين وهو يتناغم بصوته ويخرج من الحكاية إلى الموقف إلى الآية

والحديث النبوي الشريف بإيقاع سريع وأسلوب شيق بطريقة حققت الانتشار بين الشباب والكبار .. والأهم من كل هذا رسالة الوعظ ..

القصص الحق

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ هكذا يصف القرآن الكريم في سورة آل عمران (62) ما في جوانبه من قصص جاءت للعظة والعبرة ولا بأس أن تقدمها في إطار ممتع وقد جمع لنا الشيخ الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (بن كثير) قصص الأنبياء وهي المادة الدرامية الأساسية في كتاب ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الشهير (البداية والنهاية) ويستطيع المؤلف المجتهد الواعي النظر إلى القصص من زوايا عديدة من خلال النبي نفسه .. أو من خادمه أو زوجته أو تابيعه أو حتى عدوه .. بل إن حياة بن كثير نفسه فيها مادة درامية جيدة .

ويبدأ بن كثير موسوعته بخلق آدم وقصة قابيل وهابيل إلى وفاة آدم ثم وصيته إلى ابنه شيث ثم تأتي قصص : إدريس ، نوح ، هود ، صالح ، إبراهيم الخليل ، إسماعيل ، إسحاق ، لوط ، شعيب ، يوسف ، أيوب ، ذو الكفل ، ياسين ، يونس ، موسى ، يوشع ، الخضر ، إلياس ، حوقيل ، اليسع ، داود ، سليمان ، ذكريا ، يحي، عيسى .

وكل قصة فيها محاور عديدة بعضها تم تقديمه وأغلبها تحتاج إلى وقفات عديدة . وفي القرآن الكريم مفاتيح عظيمة لهذه القصص .. ثم نأتي إلى قصص الخلفاء وقد ذكرها الحافظ جلال الدين السيوطي بالتفصيل .. وفيها متسع أكبر للحركة .. لأنها متاحة ولا توجد فيها محاذير حول ظهورها باستثناء العشرة المبشرين بالجنة كما أوصى الأزهر الشريف .

***

تنويعات قرآنية

في الآية رقم (26) من سورة المائدة يشرح لنا القرآن الكريم قصة قابيل وهابيل في لقطات سريعة تتسم بالتشويق والإثارة (أكشن) ..

حيث تقول الآية : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

إنها أسطر قليلة يمكن ترجمتها إلى عدة مشاهد ويجب علينا الرجوع إلى بداية الصراع وسببه بين الأخين وهما يمثلان الخير والشر على ظهر الأرض في بداية الخلق .

والمشهد التالي سيجسد لنا عملية تقديم القرابين .. حيث يتقبل الله من الطيب ويرفض قربان الشرير الأمر الذي يثير غضبه ويكشف عن وجهه القاتل لأخيه ويكون بداية الصراع كما جاء في الآية التالية : ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ثم يكمل في الآية التالية : ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

ومع ذلك لا يرتعد القاتل الشرير وقد لعب الشيطان بعقله .. ويصمم على جريمته مع سبق الإصرار والترصد .

وتقول الآية (29) : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ لكنه لا يعرف كيف يداري فعلته حتى ظهر له الغراب لكي يتعلم منه كيف يواري سوءة أخيه .. وهنا شعر بالعجز والضعف لأنه لا يستطيع أن يفعل فعلته إلا بعد ما رأي تصرف الغراب .

ثم يكون القانون الإلهي أو الحكم المقدس : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة :32] .

مع إبراهيم

المشهد نهار خارجي في صحراء واسعة تستعرضها الكاميرا في بين جبال ووديان وبحار وسماء وأرض وطيور .. ثم بالتدريج يتحول المشهد إلى ليل خارجي وتظهر النجوم في السماء ويأتي صوت الراوي من خارج الكادر [سورة الأنعام :75-79] على التوالي : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ تتحرك الكاميرا بين النجوم حتى تصل على القمر في السماء .

ويأتي صوت الراوي مجددًا : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ثم يتغير المشهد إلى نهار وتسطع الشمس في السماء ويأتي صوت الراوي مجددًا :

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

ثم تتصاعد الأحداث مع قوم إبراهيم ومواجهته لهم .. وهدمه للأصنام في عملية التحدي .. لكي يثبت لهم أنها حجارة لا تنطق ولا تسمع ولا ترى .. مثلهم تمامًا حتى يأتي يقين الله .. وإيمانه ويتغير الحال حيث لا يستوي الأعمى والبصير.

وهنا اقترح تقديم صورًا مكثفة من القرآن الكريم وما فيه من آيات فيها المحتوى الدرامي على النحو الذي استرشدت به وحاولت تقديمه سريعًا والقرآن حافل بمثل هذه الآيات ويمكن تقديمها في لوحات منفردة متفرقة إلى جانب تقديم القصص كاملة وهي كثيرة كما ذكرت ونحن أحوج إليها في القوت الحالي لأنفسنا ولغيرنا .. لأن الصورة تغني عن كل شيء .

مفهوم النص

الدكتور نصر حامد أبو زيد في كتابه مفهوم النص (دراسة في علوم القرآن)

يأخذنا إلى تعريف آخر حول مفهوم القصة في القرآن الكريم فيقول :

(القصص القرآني يبين أحوال السالكين والناكبين .. والمقصود بالسالكين أهل الفوز والآخرة وبالناكبين أهل الدنيا والخسارة وهذه القصص يحصرها الإمام الغزالي على الوجه التالي :

«أما أحوال السالكين فهي قصص الأنبياء والأولياء مثل قصص آدم ونوح وإبراهيم وموسى وهارون وزكريا ويحيي وعيسى ومريم وداود وسليمان ولوط إدريس والخضر وشعيب وإلياس ومحمد ﷺ وجبريل وميكائيل والملائكة وغيرهم وأما احوال الناكبين فهي مثل قصص : النمرود وفرعون وعاد وقوم لوط وقوم تبع وأصحاب الأيكة وكفار مكة وعبدة الأوثان وإبليس والشيطان وغيرهم.

إلى هنا ينتهي كلام أبو زيد الذي اقتبسه عن الإمام الغزالي . ثم يشرح بكلامه مفسرًا وموضحًا :

(وإذا كان مفهوم القصص القرآني ينصرف إلى ما ورد في القرآن من أحوال مجتمعات ما قبل عصر النص وانبيائه فإن الغزالي يدرج هنا القصص أحوال مكة وأحوال محمد ﷺ أي يدرج عصر النص وتشكله ولا شك أن النص يعكس أحوال أهل العصر بوصفهم المخاطبين به كما أنه يعكس أحوال النبي بوصفه المخاطب الأول والمبلغ به ولكن الجديد في تصور الغزالي إدراج هذا البعد من أبعاد النص داخل القصص ولعل الغزالي كان ينظر في هذا التصنيف إلى ما يؤديه قصاص عصره من قصص وما يحكونه من روايات كانت السيرة النبوية دون شك جزءًا أصيلا فيها .. وتأخذني هذه النقطة إلى اعتماد المسلسلات الدينية مع بداية التليفزيون المصري على السيرة النبوية المشرفة وبعض نجوم هذه السيرة من الصحابة الكرام خاصة هؤلاء الذين لم يصدر الأزهر الشريف بشأنهم تحذيرًا بمنع ظهورهم مثل الأنبياء والرسل والخلفاء الأوائل والعشرة المبشرين بالجنة ..

وقد بهرتني قصة أصحاب الأخدود وشرعت في كتابتها فعلا ،، ثم توقفت لأسباب عديدة أهمها عزوف منتج القطاع الخاص عن تقديم هذه النوعية بحجة أنها لا تكسب ..

وكانت الإذاعة المصرية رائدة في تقديم القصص القرآني عن طريق الكاتب الفريد محمد على ماهر مع المخرج يوسف الخطاب وقدم هذا الثنائي عشرات الحلقات حول موضوعات عديدة وقدم غيرهما أيضًا نفس القصص من زوايا أخرى وشخصيات مختلفة .. باجتهاد محمود وجيد ساهم في تشكيل الوعي الثقافي الديني عند الملايين في الخمسينات والستينات والسبعينات حتى ظهور الأطباق وتنوع الفضائيات من هنا وهناك ..

وكانت الشريحة التي لا تقرأ ولا تكتب هي المستفيد الأكبر من تناول هذا القصص .. مع الاعتراف بأن الكاتب الذي يتصدى لها يجب أن يكون على درجة كبيرة من الوعي والصدق والحرفة .. حيث لا مجال هنا للخيال إلا في شغل الفراغات .

بين القرآن والسنة

بعض القصص الموجودة في القرآن الكريم سنجدها في آيات معدودة بسيطة .. لكنها تخفي خلفها قصصا تستحق أن تروى .. وان نقف أمامها .. وانظر مثلا إلى قصة أصحاب الأخدود وقد جاء ذكرها عرضا في سورة البروج .. وكاتب السيناريو والحوار إذا أراد أن يتعرض لها عليه أن يبحث أولا في كتب السيرة فهذه القصة مثلا جاء ذكرها في صحيح مسلم في الباب رقم (17) الذي يحمل عنوانا يقول : (قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام) في الحديث رقم (3005) وقد جاء فيه : حدثنا حداب بن خالد .. حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال : (كان ملك فيمن

كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك : إني كبرت فابعث لي غلاما أعلمه السحر فبعث له غلاما يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرًا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني ! أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى وأنك تبتلى فإن ابتليت فلا تدل علىّ وكان الغلام يبرئ الأكمة والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما هنالك أجمع إن أنت شفيتني فقال : إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله . فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ فقال : ربي قال : ولك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجئ بالغلام فقال له الملك أي بني ! قد بلغ سحرك ما تبرئ الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل فقال : إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيءبجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال لهم : اذهبوا إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفينهم بما شئت فرجف به الجبل فسقطوا وجاء بمشي إلى الملك فقال له

الملك: ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفينهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟

قال : كفانيهم الله فقال للملك : أنت لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جزع ثم تأخذ سهمًا من كنانتي ثم تضع السهم في كبد القوس ثم قل : باسم الله رب الغلام ثم ارمني فأنك إذا فعلت قتلتني . فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال : باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس : آمنا برب الغلام أمنا برب الغلام أمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر ؟ والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها أو قيل له : اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا امه اصبري فإنك على حق) .

ما هو السيناريو

تسمع الناس عن مصطلح السيناريو ويتداولونه في الكثير من أقوالهم الاجتماعية والسياسية .. لكنها لا تدرك معنى المصطلح ومصدر اسمه الأصلي سين أو الموقف بالإنجليزية والسيناريو هو المخطط التفصيلي لعملية السرد .. وقد جرى العرف على كتابة السيناريو على هيئة مشاهد متتابعة كل مشهد هو مجموعة لقطات يكتبها المؤلف ويجسدها المخرج وفقًا لخطة عمله النهائية التي يلزم بها فريق التصوير وباقي العناصر من ديكور واكسسوار ومؤثرات صوتية

والمؤلف الجيد لا يهتم بحركة الكاميرا أو نوعية اللقطة بقدر اهتمامه .. بالوصف الدقيق لانفعالات وحركات الممثل شكلا وموضوعا بما يتسق مع أحداث العمل ومع طبيعة كل شخصية .. وهو ما ينعكس في الحوار فلا يعقل أن يتحدث أستاذ جامعة .. بلغة الصنايعي أو الفيلسوف بلغة البائع البسيط .

السيناريو يرتبط بنوعية المحتوى الدرامي .. فالفيلم السينمائي الذي يذهب إليه الجمهور بكامل إرادته ..متوسط زمن عرضه 120 دقيقة .. والمطلوب تكثيف الأحداث والتشويق ولا بأس من الجرأة في تناول الموضوع .. بعكس السيناريو في المسلسل التليفزيوني الذي يدخل كل بيت .. ويذهب إلى المتفرج حيث هو في مكتبه... في غرفة نومه... في دكانه . ولذلك يقال عن المسلسل بأنه دراما اجتماعية .. والمؤلف الواعي .. يدرك أنه يخاطب كل أفراد الأسرة على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية .. والمطلوب منه أن يكون واضحًا للجميع وسترى ذلك على سبيل المثال في مسلسل من نوعية «ليالي الحلمية» للكاتب أسامة أنور عكاشة .. ستجد القصة البسيطة في مستواها الأول ثم القصة السياسية في مستواها الثاني وهناك ما يجري بين السطور ويلتقطها المتفرج المثقف لكن العمل في مجمله رغم أهميته يراعي الجميع ويحترم عادات وتقاليد المجتمع .. ويسعى إلى تقديم رؤية تهدف إلى نشر الخير والحق والعدل والجمال .. حتى وإن استخدم في ذلك عناصر شريرة وقبيحة وظالمة لأنه هنا يستخدم نظرية الأبيض والأسود ولا بأس من الرمادي وهو خليط من اللونين وهذا هو أساس الدراما .

السيناريو كما قلنا هو الوصف للأحداث من خلال حركة الشخصيات والحوار .. يكمل الصورة وقد جرى العرف على تقسيم الصفحة إلى نصفين أيمن للسيناريو ووصف الحركة والانفعال فإذا قلت مثلا أن «عباس» يقدم الرغيف إلى «ممدوح» يجب على السيناريست أن يصف لنا هل يقدم هذا الرغيف في مودة ؟ في

غيظ ؟ في برود ؟ في بساطة ؟ في تكبر ؟ في غلظة ؟ .. إلى آخر الأوصاف .. لأنها تختلف وإن كان الفعل هو تقديم الرغيف ، وعليه في كل مشهد أن يحدد المكان وزمانه هل هو داخلي في مكان له سقف أو خارجي (شارع ، حديقة ، ملعب) وهل هو ليل أو نهار .. أو عن الشروق أو الغروب حتى يقوم مدير التصوير بتجهيز المشهد على النحو المطلوب .

في النصف الأيمن نكتب السيناريو وفي الأيمن نكتب الحوار أو المؤثرات (صوت تليفون – صوت سيارة – صراخ – قنابل .. إلخ) أو الموسيقى .. مع ملاحظة أن الصمت من متطلبات شريط الصوت أو الجانب الأيسر الذي يشمل كل ما هو صوتي .

في مصر وأغلب الدول العربية يفضلون طريقة كتابة السيناريو في النصف الأيمن من الصفحة .. وفي بعض الدول العربية .. يكتبون السيناريو وتحته لكن بمسافة أقل وببنط خط مختلف الحوار والمؤثرات .. وهو ما يسمى السيناريو الأفقي .

والمطلوب من الكاتب أن يكون على علم بحركة الكاميرا وأساليب استخدامها وأنواع اللقطات لكن الأهم دقة الوصف والحوار المتناسب مع الشخصية ومع الحدث . مما يدفع العمل إلى الأمام .. ومسألة تأخير مشهد أو تقديمه .. تحتاج إلى خبرة لكي نحقق التشويق والإيقاع المناسب .. وهو ما يتحكم فيه المخرج بالتعاون مع العناصر الفنية وأهمها المونتاج وقبلها التصوير وبعدها الموسيقى والمكساج . والقصة الواحدة يمكن أن نكتبها سينمائيًا في حدود الساعتين وبعدد مشاهد يتراوح بين 90 ، 150 مشهدًا حسب طول كل مشهد ..

وقد نكتبها تليفزيونيًا في حلقات كان المتعارف عليه أن يكون زمن الحلقة 45 دقيقة .. لكنها تقلصت إلى 25 دقيقة بالكاد بعد أن طغت الإعلانات وأصبحت لها

الكلمة العليا..

والحلقة الواحدة مشاهدها تتراوح بين 30 : 40 في المتوسط وقد تكتب القصة في مسلسل إذاعي زمن الحلقة 15 دقيقة في سبع صفحات فلوسكاب تقريبًا .. والإذاعة مدرسة الدراما لأنها تستطيع أن تتحرك بكل سهولة بدون ديكور أو تكاليف إنتاجية أو ملابس وهذا ما يعوضه الكاتب بوصفه الدقيق لكل شيء في المسمع الذي يعادل المشهد وهو يعتمد على الحوار والمؤثرات والقصة قد تأخذ طريقها إلى المسرح في فصول أو مشاهد .. ويكون بطلها الحوار مع الديكور وحركة الدخول والخروج والإضاءة والموسيقى وكلها أمور يديرها المخرج ويضيف إليها بما يجسد النص ويصل به إلى المتفرج الذي يجلس في الصالة كطرف أصيل في العرض الذي يقدمه الممثل بشكل مباشر . ومهما اختلفت الوسائط المهم توصيل الرسالة حسب السيناريو والحوار الذي يكتبه المؤلف تبعا لقواعد وأصول كل وسيلة .